

باريس

يوم الخميس في ١٠ رمضان سنة ١٣٠١ و ٢ يونيه سنة ١٨٨٤

استغث اذان الراغبين في الوقوف على نهاية الحوادث المصرية
لاستماع ما يتحدث به بين الحكومات الاوربية من يوم دعت انكلترا
جميع الدول العظام للاجتماع في مؤتمر ينظر في بعض المسائل المصرية .
الا انها منعت دون حجاب الكتمان وانما كانت تصل اليها دندنة او
جلبة او غمغمة او جمجمة وكل حس يصلها يثير رواكد الاوهام فتتهيج
فيها غرائب الصور والاشكال والمذاعون من ارباب الجرائد في اوربا
وهم اشبه بالداعين الى الالاعيب والكموديات كانوا يذهبون من الكلام
وجوهاً مختلفة ويتنافسون في التمثيل والتصوير للتغريز والتحويل حتى
ابرزوا الارض في صورة السماء والسماء في صورة الارض خصوصاً
فيما يتعلق بالمفاوضات التي كانت جارية بين وزارتي فرانس وانكلترا .
فكان يخيل للمتصفح جرائدهم ان البحار غاصة بالمراكب والمدركات
يصادم بعضها بعضاً وان فضاء البراعض بالجيوش المتلاحمة لا يجد
السالك من بينها سبيلاً وتجسم الخيال لارباب الاذهان الحادة فكان
منهم مهندسو حرب يعينون مواقع العساكر وطرق المصاولة وجموع
المتلاحمين تجول في اذهانهم ميمناً وشمالاً ويموج بعضها في بعض وكاننا

كانت مخيلاتهم معرضاً لجيوش العالمين وكان في كل فوج داعياً وفي كل قبيل منادياً يقول حقى هذا حقى . فهيئات لتعالى وزفرات لتصاعد وارغاء واذباد وتقطب في الوجوه وشزر في الماظر وفي كل ذلك هول يأخذ الالباب .

والعارفون بقوة فرانسا البرية والبحرية والذين يقدرّون حقوقها حق قدرها كانوا يعتقدون ان تمثال العظمة البريطانية اصبح منكس الراس منحني الظهر قد هوى بهامته الى ركبته يتوارى من الناس خجلاً بما ظهر من ضعفه وعجزه وان حكومة انكلترا ستعود بالخيبة (وان اعدت فيالق من التهديد وحجافل من الارعاد) وثقوت هذه الاوهام بما يطنطن ارباب الجرائد وولعت النفوس بالوقوف على الحقيقة وانبعثت رسل الافكار تجوس خلال الشؤن والاطوار لتصل الى شيء من هذه الاسرار واجتمعت الارواح في الاذان لعلها تسترق سمعاً عن تلك المداونات وكنت كل نفس في مشكاة باصرتها لعلها تستشف من وراء الحجاب ما ينبى عن الحقيقة او يقربها من الفهم والجميع واقفون وراء حجاب هذا الملعب الشائق وبعد طول الانتظار كشف الستار .

فاذا عائدة الانكليز جالسة في هيكل آمون ويدها تاج يحكي راس الثور (تاج الفراعنة) متهية ان تضعه على راسها والملوك العظام وقوف بين يديها مستعدون لتنهئتها كأنما كانت هذه المفاوضات والخباير اعداداً وتجهيزاً لاجلاسها على كرسي ميناس الاول

ورميسيس الاكبر لا حول ولا قوة الا بالله .

قام رئيس النظار الفرنساوي في مجلس النواب خطيباً لبيان الاتفاق الذي عقده مع وزارة انكلترا ليرى النواب فيه رأيهم وقبل ذكره انفق ما لديه من البلاغة والفصاحة وحسن البيان لاقناعهم بقبول ما اجراه . تلطف في الكلام وابدع وصوب وصعد واتى على ترغيب يشوبه تهريب ويأس يحوطه امل وادرج في طي خطابه ان فرنسا قبل هذا العهد الجديد لم تكن على شيء وبه نالت اشياء واوما الى ان وزارته لو طلبت ازيد مما حصلت لادى الامر الى ممانعه الوزارة الانكليزية وافضى الخلاف الى انقلابها وربما يخلفها وزارة تطمح الى الاستيلاء على مصر . وجاء في نطقه بما حرك الطباع ومال بالاسماع حيث قال يلزم للسياسي قبل ابرام حكم ان يلاحظ جميع اطرافه ولواحقه فهذه الكلمة الرفيعة جدت في السامعين آملاً وظنوا ان المراقبة الثنائية قد اعيدت او تقرر اشتراك فرنسا مع انكلترا في الحلول العسكري او ابرم الحكم بخروج الانكليز من مصر وبالجملة انهم فازوا فوزاً عظيماً وبعد مقدمات طويلات بين الاتفاق فاذا هو بعد امعان النظر على هذا النجم . ان الانكليز سادات مصر يفعلون فيها ما يشأون وليس لنا ان نعارضهم فلا المراقبة الثنائية عادت ولا الاشتراك في التداخل العسكري او النظر الاداري حصل ولا قررت حرية القنال على اصل ثابت ولا يتحقق جلاء الانكليز على صورة قطعية ولا

تأصلت مراقبة دولية كما كان يتوهم بعض السياسيين بل كما كان يلجأ اليه الانكليز عند نهاية العجز على ما اشار اليه كثير من سياسيتهم . فانقبضت صدور النواب فلما رأى شدة تأثيرهم دفعة واحدة واحس منهم القنوط حاول احياء امالهم بقوله انا سلكنا في اتفاقنا هذا مسلك سائر الدول ومن السنن المتبعة فيها تنازل كل من طلاب الاتفاق عن شيء مما عليه الاختلاف حتى يتقاربوا ويتعادلوا فيسهل اتفاقهم * يوم بهذا انه وان ترك كل حق لفرنسا في مصر الا ان الانكليز ايضاً تساغلوا معه في امور ٠٠٠ هذه المسامحة التي لم تكن منتظرة من حكومة فرنسا ذهبت بالظنون الى ما وراء الظاهر المعروف ومنه ما بعث مكاتب جريدة التاج بلاث البرلينية في فينا على قوله يظن ههنا (في فينا) ان الاتفاق بين فرنسا وانكلترا يحتوي على شروط سرية كثيرة منها يسهل على الكافة ان يقف عليه ولكن لا خوف عندنا (في فينا) فان الدول ستعارض هذا الاتفاق رغماً عن كل وهم اه وليس بعيد ان يكون نعيم الانكليز وهديدهم وارهابهم للوزارة الفرنسية بالمثل للامان هو الذي دعاها لهذا التساهل الغريب بل حملها على ترك الحق بالكلية او ربما ظن رئيس الوزارة ان اشتداده في اقتضاء حقه او حق من له بهم علاقة صحيحة يوجب تغييراً في وزارة غلادستون فيقوم خلفها على الاغتصات بالقوة وانتهاك كل حق فتضيع الحقوق الفرنسية بلا منة من فرنسا في ضياعها فسارع الى موافقتها على ما

تشاء وطرح مصلحة فرنسا في مصر بين يديها لتكون المنة في استيلاء
الانكليز على مصر للفرنساويين ولكننا نظن ان هذا النوع من المعاملة
لا يفيد فرنسا اكبر مما يجلب عليها من الضرر فان التساؤل وسوء
السياسة الذي كان من الحكومة الفرنسية مع بريطانيا في الهند عندما
كانت للامتين منافسة فيه آلت الى تغلب الانكليز على جميع الممالك
الهندية ورجع الفرنسيون بخفي حنين (بوندى جري) و«شندر
نيكر» ولم يمح اثر ذلك الخسران من خواطر الامة الفرنسية الى الان
والمستقبل اشبه بالماضي من الماء بالماء . وقد يقال ان الحكومة الفرنسية
حوات نظرها عن مصر الى جهة اخرى . وبقي رجاءنا في نواب
الامة الفرنسية فانهم وان اظهروا ثقتهم بالوزارة بعد مجادلات طويلة
الا انهم شرطوا عليها ان لا تبرم حكماً في المؤتمر الا بمشورتهم « اللهم
حقق الرجاء » وانا في عجب من حرص مجلس البرلمان الانكليزي حيث
يعارض غلادستون في هذا الاتفاق مع ان اقرب نتائجه الاستيلاء
على مصر وكان الباعث على المعارضة خلوه من لفظ الاستيلاء وقد
طلب البرلمان من غلادستون مثل ما طلب نواب فرنسا من وزيرها .
اما حقوق العثمانيين والمصريين فلم نر لها بين المتفقين ذكراً اللهم الا
ان يقوم اربابها على المطالبة بها . عند ذلك نرى لها فصلاً بين هذه الابواب

الاتفاق

عهد بين وزارتي فرنسا وانكلترا توطأتا عليه ليكون موضوع البحث في المؤتمر واشرنا الى ان غايته تنازل فرنسا عن جميع حقوقها في مصر ونقض ידיهما من كل مصلحة لها فيها والاعتراف لانكلترا بالسيادة عليها وان لم تذكر حروف السيادة وهذا ما يحتوي عليه من المواد .

الاولى ان يستمر حلول الجيش الانكليزي في الاراضي المصرية الى اول يناير سنة ١٨٨٨ (ثلاث سنوات ونصف) ثم لا يخلوها الا بعد انعقاد مؤتمر جديد من نواب الدول العظام يتفقون فيه على ان الاخلاء لا يضر بالنظام الداخلي لمصر ولا بالعلاقات السياسية بين الدول فان حصل اختلاف ولو من دولة واحدة ترى ضرورة اطالة المدة كان الخيار لدولة انكلترا في الجلاء والبقاء .

دولة انكلترا هي الدولة التي اطلقت مدافعها على مدينة اسكندرية والمؤتمر منعقد في الاستانة من رجال الممالك العظيمة وفيهم نائب لفرنسا ولم تقرر المؤتمر ولم تراع حرمة الدول ولم تتفق مع واحدة منها على العمل الذي باشرته فهل يعجزها في خلال هذه المدة الطويلة ان تستميل دولة من الدول اليها حتي اذا انعقد المؤتمر بعد ثلاث سنوات ونصف ذهبت الى ان اخلاء القطر المصري من العساكر الانكليزية

نجشى منه على نظام البلاد او سلم اوربا فيكون حجة لانكلترا في اطالة
 مدة وان خالفها بقية الدول ومنطوق الشرط يؤيد حجتها * وكيف
 يمكن لبقية الدول اذا خالفت احداها ان تلزم دولة بريطانيا بالخروج من
 نيار مصر بعد ما غلت اياديها بتقرير هذا الشرط وكتبت على نفسها
 ، الجلاء لا يكون حتما الا اذا اتفق جميعها . السياسات في اوربا
 سريعة الانقلاب والمنافسات لاتقف عند حد يحيط به النظر ومطامع
 كل من الدول لاتنتهي عند غاية فليس يبعد بل هو اقرب من كل
 قريب ان توجد دولة من دول اوربا تشد عضد انكلترا على دعوى ان
 اخلاها لمصر يحدث هزة في سلام اوربا وربما تكون تلك الدولة هي
 الدولة القوية التي يصعب على سائر الدول مخالفتها ولا تجد فرansa عند
 ذلك موثلا تلجأ اليه سوى الرضاء والتسليم . اذا فرضنا عجز انكلترا
 ، استهواء دولة اوربية توافقها على المكابرة في احوال مصر وان
 ياسة اوربا وقفت على حالتها في وقتنا الحاضر وان جميع الدول تحالفت
 على قول الحق فهل تعجز دولة بريطانيا وهي عن ان تثير شغبا في
 مض ارجاء المصرية بان تعري مالطيا بقبطي او روميا بفلاح او حمار
 فتسيل قطرات من الدماء تخيل كل قطرة منها بجرا وتنادي ان للفتن
 مشارا وللعصيان امارات والنظام في خطر ولها حق المحافظة عليه
 ، ان تنقلب ارض مصر جنة يكون فيها امم العالم اخوانا على سرر
 متقابلين ولو اعتبر المسيو جول فري بالمعاهدات التي عقدتها انكلترا مع

السلطنة التيمورية وغيرها من ممالك الهند وكيف اقدمت تلك الدولة على نقضها ولم تبال فيه بعهد ولا ذمة اظهر له ان نقض روسيا العهد مع بولونيا ليس شيئا يذكر بالنسبة الى خفر انكلترا لزمها مع تلك الممالك العظيمة . لو تأمل هذا الوزير في الاعمال الانكليزية للام نفسه في الاحتجاج بشرف انكلترا على خلو غرضها واخلاصها فيما واثقته عليه ان لم يكن في خاتمة الشرط سر فلم اهتمت بها الوزارة الانكليزية والحت على تثبيتها . ان لم يكن لها غرض في استعمالها وقتها فلم اصدرت او امرها بمسكة الحديد من سواكن الى بربر على نفقة الحكومة البريطانية . ان كان لمسيو جول فري ثقة بموسيو غلانستون واعتماد على عفقه وطهارة ذيله فمن يضمن له بقاءه في رئاسة الوزارة الى نهاية المدة حتى يوفي بعهده . ان استعفت وزارة غلانستون لعلة داخلية او حادثة خارجية وخلفتها وزارة تحت رئاسة اللورد شورشيل اللورد سالسبوري وهما من الطالبين للاستيلاء على مصر او اعلار السيادة الانكليزية عليها فاي مانع يمنعهما عن الاستفادة من هذه الخاتمة السواي في مقصدهما المعروف .

المادة الثانية الغيت المراقبة الثنائية وسيعوض عنها بتوسيع السلطة لقموسيون الدين العمومي فيمنح حق الاطلاع على مصاريف الحكومة والاعتراض على ما يزيد منها عن المقرر في لليزانية ويكون^١ ذلك من ابتداء سنة ١٨٨٥ وميزانية تلك السنة تحصرها حكومة انكلترا

فخر در اصل مجلد ناقص بوده است

فخر در اصل مجلد ناقص بوده است

جول فري لا يقومه الاحمية الدولة العثمانية واشتدادها في حفظ مكانتها السياسية وحرص مجلس النواب الفرنسي على حماية المصالح الفرنسية التي يسهل صونها بشي من العزيمة وبصيص من البصيرة والله الامر يفعل ما يشاء

الباب العالي

روت جريدة الدالي نيوز خبراً يسر كل مسلم يهيمه نجاح الدولة العثمانية ويرى عزته في عزتها وذلك ان الباب العالي باي ان يرى جيشاً انكليزياً حالاً في مصر ويرغب اذا اشتد العصيان ان يفوض الامر الى الخديوي الذي يتبع نصائح الدولة العلية صاحبة السلطة الشرعية عليه . وكل شرط يومي الى جعل مصر تحت حماية اجنبية فليس عند الباب العالي في موضع القبول لانه يكون تمهيداً لاضاعف سلطة السلطان على تلك البلاد ويمكن ان يقبل الاتفاق الفرنسي الانكليزي في غير هذين الامرين (الحلول الانكليزي والحماية الاجنبية) وورد في رسالة من مكاتب جريدة نوفل بريس ليبر الباريسي محادثة جرت بينه وبين احد السياسيين من الروس نقاتها جريدة الثان فيها ان دولة الروس ستقاوم دولة بريطانيا في مطامعها وتؤيد الدولة العثمانية في مطالبتها رعاية لمصالحها المرتبطة بمصالح العثمانيين في المسئلة المصرية وفي الاتفاق المتعقد بين دولتي فرنسا وانكلترا .

جول فري لا يقومه الاحمية الدولة العثمانية واشتدادها في حفظ مكانتها السياسية وحرص مجلس النواب الفرنسي على حماية المصالح الفرنسية التي يسهل صونها بشي من العزيمة وبصيص من البصيرة والله الامر يفعل ما يشاء

الباب العالي

روت جريدة الدالي نيوز خبراً يسر كل مسلم بهمه نجاح الدولة العثمانية ويرى عزته في عزتها وذلك ان الباب العالي يابى ان يرى جيشاً انكليزياً حالاً في مصر ويرغب اذا اشتد العصيان ان يفوض الامر الى الخديوي الذي يتبع نصائح الدولة العلية صاحبة السلطة الشرعية عليه . وكل شرط يومي الى جعل مصر تحت حماية اجنبية فليس عند الباب العالي في موضع القبول لانه يكون تمهيداً لاضعاف سلطة السلطان على تلك البلاد ويمكن ان يقبل الاتفاق الفرنسي الانكليزي في غير هذين الامرين (الحلول الانكليزي والحماية الاجنبية) وورد في رسالة من مكاتب جريدة نوفل بريس ليدر الباريسي محادثة جرت بينه وبين احد السياسيين من الروس نقاشها جريدة الثان فيها ان دولة الروس ستقاوم دولة بريطانيا في مطامعها وتؤيد الدولة العثمانية في مطالبتها رعاية لمصالحها المرتبطة بمصالح العثمانيين في المسئلة المصرية وفي الاتفاق المنعقد بين دولتي فرنسا وانكلترا .

كبر حكمة الله في حباله حمدة الحق

العالم الانساني كتاب المعبر وسفر المستبصر وكل قرن من قرونه صفحة وكل جيل من الناس سطر فيه او جملة ولنا في كل ما خطه القلم الالهي اية وعبرة .
اول ما يفيدنا النظر فيه وقوفنا على احوال الشعوب في اطوارها المختلفة وادوارها المتبدلة ترى انما علت وسمت وحلقت في جو المعالي وجازت في الرفعة مسارح النظر ثم انحدرت بعد هذا وتدهورت وعفت رسومها ولم يبق لها اثر الا في الروايات والاحاديث ومنها اجيال كانت في ثني العدم ثم اكتست حلية الوجود واخذت من الاجتماع الانساني مكان الهامة من الجسد ثم انطوت واخنت عليها امهات قشع ومنها ما نراه الى اليوم يسحب مطارف العزة ويشرف على العالم بالامر والنهي من شواهد القوة . فمن الناس من تتجلى له هذه الشؤن وتلك الاطوار كما تعرض عليه التماثيل ينسبط لبعضها اذا اعجبه و ينقبض للآخر اذا انكره وهو في غفلة عن منشأ ظهورها وعلل انقلابها * فان سئل عن السبب قال سبحانه الله هكذا كان وهكذا يكون وما هو الا بخت يسعد فيسعد به السعداء وينحس فيتعس به الاشقياء . ومنهم من تنفذ بصيرته الى الحقيقة فيقف على ما هياء الله من الاسباب التي تتبعها احوال الامم في صعودها وهبوطها ويعلم ان ما سبق من الخير لامة انما كان بايدي احاد من امثالها جدوا وجاهدوا وبما بذلوا من نفائسهم وانفسهم فازوا بتأصيل المجد لشعوبهم وبني جنسهم ويرى لاولئك الاعلام ذكراً يرفع ومكانة من القلوب تحمد وتميزا عند الخلف بالكرامة وهم لم يخالفوا الناس في جوسومهم ودمائهم وانما تقدمهم بهمهمهم وقد يسوق الاعتبار الى الاقتداء بهم رغبة في اقتطاف ثمار الثناء وتخليد الذكر فاذا اخذ مأخذهم واستقام على طريقهم فلا يكاد يخطو بعض خطوات ومبدأ المسير تحت نظره حتى تتم اقدامه في اباد مقطعة وروس مجذوزة واشلاء مبددة

منشورة وصدر مدقوقة ويشهد الطريق مضرسة بقبور الشهداء من طلاب الحق
والناهجين في منهاجه ولا يحيص عن سلوكها وتبدو له غابات وادغال يرجع اليه
منها صدى زئير الاساد وزججرة الضراغم ولا بد له من اختراقها هكذا نتكشف
لطالب المعالي موحشات مدهشات مصاوله المخاطر ادناها والموت الشريف
اقصاها واعلاها . فتارة يخور عزمه ويضعف همه فينكص على عقبيه ويرتد الى
اسواء حاله ويرتفع في مراتع امثاله حتى يروح الى عطنه الاولى به وهو العدم .
وتارة يوحى اليه الالهام الالهي ان الشخص في خاصته والامم في هيئاتها ونوع
الانسان في مجموعه تطالبها صورة الابداع باعمال شريفة دونها اجتهاد الانفس
في السعي وحملها على ما لا تهوى ومغالبة الاهوال والقوائل وفيما اودع الله
الانسان من القوى العالية والخواص السامية اكبر مساعد على ما تندفع اليه الهمة
وتنبعث له العزيمة . ان من احياه الله بالحياة الانسانية كلما حاجته المصاعب لا
يزداد الا حرصا على قهرها كما ان صاحب الشم لا يزيده الخصام الاحدة في
الجدال واصراراً على اقناع المخاصم . وكثير من على شكل الانسان يحى حياته
هذه بروح حيوان اخر وهو يعانى فيها من الشقاء اشد مما يعانى الانسان في ابراز
مزايانا الانسان . ان صاعد الجبل ربما يجد شيئاً من التعب ويخشى مقترسة
الكواسر ولكن قد ينجو منها ويستريح على القنة ويعتمهم بمكانه من الرفعة وتقصّر
عنه يد المتناول اما من اخلد الى السفل فحظه من الحياة خوف لا ينقطع
واشفاق لا يزول كل لحظة توعده بالسقوط في صيد الصائد والوقوع بين انياب
الغائل . مات من الناس كثير في طلب العلا ولم ينالوا وبلغ كثير من الطالبين
غاية ما املوا ولكن هلك بالفتك اضعاف هولاء وهولاء ممن رثوا الخمول ورضوا
بالحياة الحيوانية . هذه احاديث الحق ونفثات الروح الزكية تبعث من ايده الله
ووهبه نعمة العقل الى مداومة السير واقتفاء اثر الماضين الى اشرف المقاصد فاما
وصل واما مات كما يموت الكرام .

لم تنل امة من الامم مزية من المزايا المحموده عند بني البشر سواء في العلوم

والمعارف او الاداب والفنائل او القوانين والنواميس العادلة او العسكرية وقوة الحماية حتى خرج احاد منها الى ما تحشاه النفوس وتهايه القلوب وسلکوا تلك المسالك الوعرة فبلغوا بامهم اقصى ما بلغت بهم همهم مع الاعتماد على العناية الالزية في جميع سيرهم .

ماذا يريد العانون في خدمة الامم او النوع الانساني والمنفقون لحياتهم في اعمال فادحة يعود نفعها على من تجمعهم معهم جامعة الامة او الملة او يشارکهم في النوع . اليس قد جعل الله اكل شيء سبباً . اليس من سنة الله في عباده ان لا تُتجه الارادة البشرية الى حركة تصدر عن المريد الا بعد تصور غاية تعود الى ذاته وبعد اليقين اوراجح الظن بانه يستفيد الغاية من العمل . فان كان الاجل بذهب في مساورة الالام الروحية والعمر ينفذ في مناهد الاوصاب البدنية فماذا يقصدون من اعمالهم . ان كان يوجد في ابناء جلدتهم وذوي ملتهم من يساعد حوادث الكون على ايلامهم وممانعتهم في مقاصدهم وصددهم عن السعي فيما يرجع خيره الى انفس المعارضين وبثخن فيهم جراح اللوم والتقريع والشماتة والتشنيع او يدافعهم بالمكافئة والمنازلة فما الذي يبتغون من جدهم وكدهم لا لذة تجتني ولا الم يبتقى فما هذا الباعث القوي الذي غلب الاهواء ولم يضعفه جهد البلاء .

نعم اودع الله في الانسان ميلاً اقوى من كل ميل وهو اخص خاصة فيه يمتاز بها عن غيره من الانواع وهو حب المحمدة الحققة وحسن الذكر من وجوه الحق اقول هذا تقاديا من حب المحمدة من اي وجه حقاً كان او باطلاً وطلب الثناء بالزور والغش والرياء والظهور بمظاهر الاخيار مع تبطن سرائر الاشرار فان هذا من اسوأ الخلال وانما يرض بعد اعتلال الفطرة وفساد الطبيعة . المحمدة هي الغذاء الروحاني والمقوم النفساني وكلما قرب الشخص من الكمال الانساني تهاون بالشهوات وازدرى بالذائد الحسية وقوي فيه الميل الى المحمدة الباقية وبذل الوسع فيما يفيدها من جلائل الاعمال * تأمل * ان الفاضل يرى له في هذا العالم اجلين اقصرهما الاجل المحدودة من يوم ولادته الى نهاية العمر المقدر والاخر

ابعد من هذا نهاية وبدايته عند ما يتجسم من عمله الصالح اثر لمنفعة تشمل امته
او تعم النوع الانساني وغاية هذا الاجل عند ما يمحي اثره من الواح النفوس
وصفحات التاريخ والروح الفاضلة وجودان وجود في بدنها الخاص ووجود في
جميع الابدان وهو ما يكون مجلولها من كل روح محل الكرامة والتبجيل ولا
ريب ان هذا الاجل الطويل وهذا الوجود العريض خير من ذاك الاجل
التصغير وذاك الوجود الكز وحقيق بالانسان ان يبيع ما هو ادنى بالذي هو خير .
يطول بي الكلام فاقصر * ان الله الذي وهب كل نوع ما به كماله وضع
في جبلة البشر ميلاً الى الحمد والهمهم تأدية حقه لمستحقه * الم تر انطلق
الاسن في كل امة بالثناء على كل من كان سبباً لها في مجد ورفعة او نهوض من
سقطه او توحيد كلمة او تجديد قوة او كمال في فضيلة او تقدم في علم او صناعة
و يرسمونه في الالواح ويسجلون مدحه في بطون التواريخ ويرفعون له الهياكل
والتماثيل ويحفظون له ذكراً حميداً يتناقله الابناء عن الاباء حتى ينقرضوا
وينقرض العالم .

اذا جحدت الامة حق العامل لها او قصرت في استحقاق عمله ضعفت الهمم
وقل السعي في المصالح العامة وانقبضت الايدي عن تعاطيها فهبطت شؤون الامة
فافتقرت وماتت . ان الله جل شاناه قرن كل حادث بسبب فاذا استوى لدس
الامة الحسن والقبيح والطيب والخبيث والفضيلة والرذيلة والمصلحة والمفسدة
وفقد منها التمييز ولم تقدر اعمال العاملين حق قدرها ولم تعرف معروفها ولم تنكر
منكرها سلبت احادها الميل الى المعالي والكلمات وكان هذا اشد نكابة بها من
جور الظالمين وتغلب الظالمين . ظلم الظالم لا بدوم وسطوة التالب لا تثبت اذا
كان جمهور الامة يقابل الانسان بالاعتراف والفضل بالحمد فانه يوجد منها من
يشترى هذه المكافات بتخليصها وانقاذها اما فقد هذا الاحساس الشريف فهو
اشبه علة بالهرم لا عقي له الا الموت والهلاك . كيف لا نكون المدحة الحققة
نعمة على النفوس الانسانية يسعى اليها الاعلون من بني الانسان وقد امتن الله

بها على نبيه فيما يقول له ورفعنا لك ذكرك وكيف لا تكون حقا تطالب به الطبيعة وقد سمح الله لمستحقها بالتحدث بنعم الاعمال الصالحات كما سوغ لنبيه ذلك في قوله واما بنعمة ربك فحدث * قلب طرفك في تواريج الامم اقصاها وادناها تجد برهاناً قاطعاً على ان الامة متى بخت قيم الاعمال العامة وازدري فيها بشأن الفضيلة فقدت ما به قوامها وانهدم بناؤها وذبحت كما ذهب امس ولا جرم ان الكفران مقرون بزوال النعم .

يمكنني ان اختم كلامي هذا بكلمة شكر لهذه العصابة الطاهرة التي اقدمت في هذه الاوقات النحسة ووقفت على شفير الخطر وكتبت على نفسها السعي في توحيد المسلمين وبسرنا انا نرى عددها كل يوم في ازدياد نسأل الله نجاح اعمالها وتأييد مقصدها انه نعم المولى ونعم النصير .



الانكليز والاسلام

للحكومة الانكليزية (عدو المسلمين) عداا شديد لالتهام الممالك الاسلامية . تفذ المسير الى آرابها منها سالكة جاداتها المعهودة من اللين والمواربة والخديعة والمخاتلة فان بلغ بها السعي حدا من الغرض فذلك . وان عجزت اخذت طريقا اخر لانتزاع قطعة ارض من ايدي المسلمين باية وسيلة وتسليمها لقوم من سواهم ايا كانوا كأن لها لذة في نكايه اهل هذا الدين وكأنها تبغني السعادة في تذليلهم ومحو مايكون من ملكهم وكال بهجتها في ان تراهم اذلاء عبدانا لا يملكون من امرهم

شيئا وفي تصانيف غلادستون وخطبه الضافية ايام الحرب العثمانية مع الروس ومقالات اشباهه نبأ بل اصدق الانبا عما تكنه صدور الانكليز من العداوة للمسلمين .

لهذه الحكومة طمع التمكن في ارض مصر ولها من كل جبل قبضة وفي كل سبيل خطوة لتنال مطعمها . وهمتها اليوم في ارضاء بعض الدول عن استبدادها بالامر في مصر بما تسول لسياسيتها من اوهام المنافع وخيالات الفوائد وفي تشييط بعضها بالمرواغات والتهديدات . فان بلغت همتها مبلغ القصد فهو خير ماتطلب والا عقدت عزمها على نقل الولاية في مصر من ايدي المصريين والعثمانيين الى ايدي اقوام اخرين . هذا ماتشير اليه جريدة الدالينيزوز الوزارية « الانكليزية » عند كلامها على قتال السويس حيث تقول يمكن القطع بجياد القنال على الاساس الموضوع في تلغرف اللورد غرانفيل المرسل الى الدول في ٣ جنفيه سنة ١٨٨٣ وليست تلك الحيادة الاحكام من احكام النظام الذي وضعته الوزارة الانكليزية ليكون قاعدة تقوم عليها هيئة الحكومة المصرية بعد جلاء العساكر عنها . ولكن لا يرعى الانكليز في حيادة القنال وحدها ضمانا صحيحة لوقاية مصر من غارة دولة اجنبية عليها ولا كفالة كافية لاستقلالها بل يمكن ان يذهب الراي الى ضرورة حيادة مصر نفسها بان تحول حكومتها الى حكومة سويسية او بلجيكية في افريقيا وتوضع تحت حماية الدول عموماً فتومن الاغارة

عليها من احداها اذا ال الامر الى هذه الحالة» والعياذ بالله» فهل يسمح
ارباب الحماية او السيادة بتفويض اعمال الادارة والقضاء والمالية
للمصريين العارفين بشؤون بلادهم . كيف نظن هذا وقد سجل عليهم
الانكليز انهم اضعف من ان يقوموا بعمل جزئي او كلي في خدمة
اوطانهم وان من الضروري لحياتهم ان يكونوا آلة صماء في ايدي
غيرهم من الاوربيين . قد يعقب ذلك لو حصل تشكيل مئين من
المجالس في القطر المصري كلها تشبه المجالس المختلطة اما مجالس الفصل
والقضاء ابتدائية واستئنافية فالامر فيها بين واما ادارة الداخلية
والمالية وفروعهما فلا تستقل بها دولة من الدول فان طبيعة الامر تاءباه
فلا يتولى اعمالها الا مجالس مؤلفة من اقوام مختلفة الاشكال واللغات
متبائني الحكومات . ولو تفضل السائدون علي المصريين عند بداية
العمل لسمحوا بان يكون في كل مجلس واحد منهم الى زمان محدود .
اولئك الاعضاء الاجانب وهم نواب دولهم لا يكون سيرهم الا كما
سار اخوانهم من قبل . كل منهم يستدعي من ابناء جلدته من
يستخدمه في وجه من وجوه الاعمال التي يولي النظر فيها وتقع بينهم
المنافسات ثم تكون المحاباة كل يتغاضي عما ياتيه الاخر ليتغاضي الاخر
عنه فلا تكون مدة حتى تضيق ارض مصر بالايجاب ولا يعود فيها
مقر لوطني هذا الى ما يتبعه من اقامة عسكر مختلط للمحافظة في المدن
والاقاليم . فلا يبقى للمصريين الا خسائس الاعمال يفلحون الارض

ويعانون الاعمال الشاقة ولكنهم اجراء عسقاء لغيرهم يودون ثمرات ما يكسبون الى من لا يعرفون ويخرجون عن جميع ما كانوا نالوه في الازمان الاخيرة من عهد محمد علي الى الان . ولا يمر زمن طويل الا ويولون الى مال وحشي اميركا ينحسرون الى بعض الاطراف القاصية عن العمران او يدافون في غمر الاجانب فلا يوقف لهم على اثر صحيح وتصير الاراضي المصرية ماهولة باخلاق من اجناس مختلفة كما في اراضي امريكا الجنوبية والشمالية و يقوم ليف اولئك الاغراب مقام ابناء الارض الصادقين وهذا مما لايسر عاقلا « وان راق في نظر بعض المباركين » واملنا في الدولة العثمانية ان تقوم على قدم ثبت عليها الاسلاف الاولون وتقدم بعزيمة ثابتة على المطالبة بحقوقها في مصر واعادتها الى حالتها الاولى قبل التداخل الانكليزي ثم تلقي بزمام الحكومة فيها الى ذوي عزم . من المصريين صيانة لحوزة الاسلام . وفي الظن ان دولة روسيا لا تفوتها هذه الفرصة لمساعدة العثمانيين لتستميل اليها قلوبهم ولا تختلف عنها دولة فرانسافان مصالح الدولتين في فتوحاتهما بالبلاد المشرقية تقضي على السياسيين فيهما « ان كانوا كما يقال سياسيين » بالاتحاد مع العثمانيين

الباب العالي والانكليز

يهم المسلمين في كل ارض امر مايجري في مصر بل تذهب نفوسهم حشرات كلما راوا او سمعوا ان جندياً اجنبياً يجول في نواحيها مقاتلاً او حامياً وليس شان مصر عندهم كغيرها من البلاد فانها بهرة الاسلام وباب الحرمين الشريفين فكل نازلة بها ترزا الدين وتصدع من اركانه والمسلمون في قلقهم هذا ينظرون الى الدولة العثمانية ويقبلون وجوهم في سماء سلطنتها الحسية والمعنوية يرجون منها عزمة ثابتة تنقذ بها الاراضي المصرية من تبوى الاعداء ويحفظ بها شرف المسلمين ومكانتهم بين الامم وتضان بها ولاية الاسلام من السقوط في حبال هذه الدولة الداهية « دولة الانكليز » التي اخذت على نفسها ان تبعد ولاية هذا الدين وتحول حبله على نابله * هذا فضلا عما يراه كل مسلم من ان عزة الدولة العثمانية وشوكتها ليس الا بسلامة ملكتها على مصر فان قضي فيها الامر لغيرها « والعياذ بالله » اصبحت حقوق العثمانيين في جميع ممالكهم معرضة للخطر * فهذه دولة الانكليز كمرض الاكلة يظهر اثره ضعيفا لا يحس به عند بدئه ثم يذهب في البدن فيفسده ويبيده بدون ان يشعر المصاب بالالم هكذا شان الانكليز في لينهم وتلطفهم وحلاوة وعودهم وتملقهم وخضوعهم يسلبون المالك ملكه بل الحي حياته

وهو ماخوذ بما يشعزون له ولا ريب في ان الاهانة التي تمس الدولة العثمانية تنال جميع المسلمين في الشرق والغرب فان كل مسلم وله الحق يعد هذه الدولة دواته ولو تباعدت الاقطار . ان الهنديين الى اليوم وما بعد اليوم يباهون بها ويحسبون انفسهم في عداد الامم التي لم تذهب سلطنتها ويعتقدون ان لهم سلطانا قويا في الدولة العثمانية بل يرون ان خلاصهم من قيد الرق الانكليزي لا بد ان يكون يوما ما بسعيها وقد ظهرت ايام الحرب الاخيرة اثار لحتهم معها باللحمة الملية بما لم يبق رية لمرتاب في شدة صلتهم بها .

لهذا كنا نعجب لسكوت الدولة العثمانية في هذه الازمان الاخيرة عند ما اشتدت مقارعات السياسيين من كل دولة وتصارعوا في المفاوضات والمجادلات محاماة عما لهم من المصالح في مصر مع ان الدولة كانت احق واولى من جميع الدول بالاهتمام وبذل الجهد للمناضلة عن حقوقها الثابتة ارضاء لخواطر المسلمين عموماً واستبقاء لحسن عقيدتهم فيها وحماية عن ممالكها واهم مملكة منها الى ان اطلعنا على اعلان بعث به الباب العالي الى الدول بطريق التلغراف فيما يتعلق بالاتفاق المنعقد بين فرانسوا وانكلترا في المسئلة المصرية اتى فيه على بيان العواقب السيئة التي تنشأ من طول مدة الحلول الانكليزي في مصر واطهر ان مجرد تحديد المدة لا يكف الانكليز عن حرصهم وغاية ما فيه انه يستتبع بداعاة الدول والدولة العثمانية مع الانكليز وبرهن على

ان بقاء العساكر الانكليزية في مصر ليس بضروري في حل المسئلة
 فان كانت الدول لاترى في العساكر الاهلية كفاية لصيانة البلاد من الخلل
 فالباب العالي مستعد لارسال العساكر اليها على ما تقتضيه حقوقه فيها
 كما عرضه على الدولة البريطانية وجرى البحث فيه ولكن حال دون
 الاجراء موانع سياسية . فان لم تقبل الدول ان يستقبل الجيش
 العثماني بجل هذا المشكل فانه يعرض عليها ان يحل مصر جيش مختلط
 يؤلف من عثمانيين وفرنساويين وانكليز وإيطاليان واسبانيين والى
 الدول تعيين الاجل في الوجهين وزاد الباب العالي في اعلانه هذا
 خدشا لخواطر الانكليز حيث قال ان الانكليز قد انهوا اعمالهم في محو
 العصيان وثبتت سلطة الحديدو الا انهم لم يأتوا في تحسين حال مصر
 وتقويم نظامها الا بما فيه اجراء بعض مقاصدهم السابقة

وانا نقول كما يهتف به كل مسلم ان من فروض الدولة العثمانية
 ان لاتدع وسيلة للذود عن مصر وكف يد الانكليز عنها وان تكون
 همتها في ذلك كهمتها في الذود عن نفس الاستانة وليس لها ان ترهب
 هذه الرعود وتلك البروق التي لاتعقب مطرا * ومن الحق ان نقول ان
 في مكنة العثمانيين ان يقوضوا هذا البيت البلوري « بيت العظمة
 الانكليزية » بحجر واحد فاذا اشتدت الازمة تيسر لهم السعي في الوئام
 بين الايرانيين والافغانيين والبلوجيين ولا يكلفهم هذا الا كلمتين
 يستندان الى اصل ديني قويم وعندها يعرف الانكليز مقام انفسهم في

الاقطار الهندية . والممالك المشرقية . هل تسلط الانكليز في الاراضي الهندية الواسعة الا بسبب المخاصمات المذهبية التي كانت بين الافغانيين والاييرانيين ولو نظرنا اليها نظر التحقيق لما رايناها مما يوجب شقي العصا وتفريق الحكمة ولا رية عندنا ان رفع الشقاق وتجديد الوفاق بين تلك الامم ايسر شيء على الدولة العثمانية لما لها من المكانة العليا في نفوس المسلمين قاطبة . ولا يظن ان اعتصام الانكليز في جزائر بريطانيا والهند يقصر بالعثمانيين عن النكاية بهم لانتقطاع السبل بين هولاء واولئك وانسداد المسالك بين الممالك العثمانية والانكليزية فان الظن يختلف عند وجود الاتفاق بين الافغان والاييرانيين واتحاد كلمة الفرس مع العثمانيين * هذه طريق محمرة وبندر عباس الى بلوچستان مفتوحة للمسالك مطروقة للسابل وهي الطريق التي سلكها اول جيش اسلامي بعث به الحجاج بن يوسف لفتح السند . ان هذه لجولة لو كانت لاثارت في وجوه الانكليز غبرة يضلون فيها عن رشادهم . ومعلوم ان الحي لا يسلم نفسه للموت بلا مدافعة مادام قادرا عليها . يكفي لقيام مليون من القتالة الافغانيين والبلوچيين تحرك خمسة آلاف عثماني الى احبائهم . لست ابالي ان اقول الحق اذا حصل التساهل في امر مضر انفتح باب المطامع لكل دولة صغيرة او كبيرة وعزت بعد هذا وسائل التلاقي فلتات الدولة العثمانية على ما في الوسع ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم

الاقطار الهندية • والممالك المشرقية • هل تسلط الانكليز في الاراضي
 الهندية الواسعة الاسباب المخاصمات المذهبية التي كانت بين الافغانيين
 واليرانيين ولو نظرنا اليها نظر التحقيق لما رايناها مما يوجب شق المصا
 وتفريق الكلمة ولا رية عندنا ان رفع الشقاق وتجديد الوفاق بين تلك
 الامم ايسر شيء على الدولة العثمانية لما لها من المكانة العليا في نفوس المسلمين
 قاطبة • ولا يظن ان اعتصام الانكليز في جزائر بريطانيا والهند يقصر
 بالعثمانيين عن النكاية بهم لانتقطاع السبل بين هولاء واولئك وانسداد
 المسالك بين الممالك العثمانية والانكليزية فان الظن يختلف عند وجود
 الاتفاق بين الافغان واليرانيين واتحاد كلمة الفرس مع العثمانيين * هذه
 طريق محمرة وبندر عباس الى بلوچستان مفتوحة للمسالك مطروقة
 للسابل وهي الطريق التي سلكها اول جيش اسلامي بعث به الحجاج
 بن يوسف لفتح السند • ان هذه لجولة لو كانت لاثارت في وجوه
 الانكليز غيرة يضلون فيها عن رشادهم • ومعلوم ان الحي لا يسلم نفسه
 لموت بلا مدافعة مادام قادرا عليها • يكفي لقيام مليون من المقاتلة
 الافغانيين والبلوچيين تحرك خمسة آلاف عثماني الى احيائهم • لست
 ابالي ان اقول الحق اذا حصل التساهل في امر مضر انفتح باب المطامع
 لكل دولة صغيرة او كبيرة وعزت بعد هذا وسائل التلاقي فلتات
 الدولة العثمانية على ما في الوسع ومن يعتصم بالله فقد هدي
 الى صراط مستقيم

الذي يجلب على الامة شراً كبيراً او يحرمها من خير عام ليس في
وسع حكيم من البشر ان يحدد درجته من الحسة والسفالة ولا في
طوعه ان يحيط بكنه الفساد الذي ضرب في طبع شخص يقدم على
مثله ولا توجد كلمة ولا جملة ولا كتاب يفني بيان حاله سوى ان
يقال خائن ملته ووطنه

اولئك اشخاص كثيراً ما يوجدون في الامم المعتلة يشبه ان
يكون منهم صاحب جريدة « اوده اخبار » التي تطبع في « لكنهو »
من بلاد الهند انقض رأسه ورفع عقيرته على جريدة « اميرتا بازار »
برتركا » التي تنشر في بلاد - بنباله - كتبت هذه الجريدة « البنجالية »
فصلاً بينت فيه سرء معاملة الحكومة الانكليزية الهندية وخشونتها
على الهنديين واهانتها لهم واجحافها بحقوقهم وحرمانها لهم من خدمة
اوطانهم واثقالها عليهم بالضرائب الباهظة واستئثارها بجميع ما يكسبون
من كدهم وتعبهم مع احتكارها جميع ينابيع الثروة مما اوجب شدة الضيق
والضنك في عامة الاقطار الهندية وكان سبباً في انحراف قلوب الهنديين
عن الحكومة ونفرتهم منها . ثم اتبعت هذا بقولها فليس لحكومة الهند
بعد ذلك كله ان ترجو مساعدة رعاياها لها عند وقوع حرب بينها وبين
الروسية ولا ان توكل في العساكر الهندية بذل ارواحهم في الدفاع
عنها فان الجند يشركون الاهالي فيما الم بهم ويألمون كما يألمون . وليس
من الحق للحكومة بريطانيا مع سلوكها هذا ان تلوم الهنديين اذا اثروا

عليها دولة الروس واختاروها حاكمة لهم . هذا يجعل ما قالت واقل ما كان يترتب على هذا الكلام وامثاله من الفوائد هو تنبه الحكومة الانكليزية لما جرحت به قلوب الاهالي واحرجت صدورهم فتعدل مشربها وتقوم منهجها مع الهنديين وترفع عن كواهلهم بعض الضرائب الثقيلة وتمنح الوطنيين بعض الخدم في الدوائر الملكية او العسكرية وتكف عن اهانتهم وتذليلهم ليكون لها عدة اذا دهمتها ام صبور « الداهية او الحرب الشديدة » من جهة الشمال .

وكان على الهنديين خصوصاً ارباب المعارف منهم ان يويدوا القائل في قوله او يحمدا له سعيه او يتركونه وشانه لعلما يستتبع ذلك خيراً كثيراً او قليلاً لاوطنهم وابناء امتهم ولكن وآسفاً بدل هذا يلتوي صاحب جريدة « اوده اخبار » ويجور عن جادة الصواب في تقرير الجريدة البنجالية وتعنيفها ثم يطلب من الحكومة الانكليزية ان تمنح حرية الجرائد من بلاد بنجالة . وهذه الجريدة وان وصفها مقوم الجرائد في الهند « مدير المطبوعات » بانها متملقة معمرة للحكومة الا انه ما كان يخطر ببالنا ان تنحط وتسفل الى هذا الدرك ولا ان ترتكب في تملقها هذه الجريمة العظمى وهي طلب محو الحرية في البنجالة وصد ابناء وطنها عن التنبيه على بعض حقوقهم وشكاية شيء من ارزائهم لا حول ولا قوة الا بالله .